

دور الإرساليات التبشيرية في ترسيخ النظام الاستعماري البلجيكي في الكونغو

(1878م - 1950م)

The Role of Christian missionaries in Cementing the Belgian Colonial Regime in the Congo (1878 – 1950)

رابح شناز *

جامعة الجيلالي بونعامة - خميس مليانة - الجزائر

Chanezbenrabah@gmail.com

تاريخ النشر	تاريخ القبول	تاريخ الإرسال
2024/07/31	2024/05/27	2024/03/08

الملخص:

يتتبع البحث دراسة الإرساليات التبشيرية المسيحية الكاثوليكية والبروتستانتية ودورها في تنمية نظام الحكم الاستعماري البلجيكي للكونغو من فترة 1876 م إلى 1950 م، متناولاً في ذلك مسار النشاط التبشيري في الكونغو من القرن الخامس عشر بوصول البرتغاليين إلى تأسيس جمعية الكونغو الدولية (AIC) 1876 م والعودة البعثية الثانية بدعم من الملك ليوبولد الثاني ملك بلجيكا والعلاقة التكاملية بينهما، إذ ساعدت البعثات المسيحية الملك ليوبولد الثاني في شخصه ملكية الكونغو من خلال مساهمتهم في ضم الكونغو لبلجيكا عام 1908 م وتأمين الاحتكار الفعلي للتعليم حتى عام 1948 م، ما جعلهم يؤثرون في صياغة وتطبيق السياسة الإستعمارية على السكان الأصليين حتى منتصف الخمسينات من القرن العشرين، ومساهمتهم بطريقة غير مباشرة في نشأة الحركات القومية الكونغولية ذات المسحة الدينية كالحركة الكيمبانغوية التي كان لها الأثر في تنمية الوعي الوطني والهوية الكونغولية .

وتكمن أهمية هذه الورقة البحثية في تسليط الضوء بشكل خاص على الديناميكية المعقدة بين الدين والسلطة في سياق الحكم البلجيكي في الكونغو من خلال استقصاء للأحداث التاريخية والإيديولوجيات وآثار الناتجة لشراكة الإرساليات التبشيرية والملك ليوبولد وإلى تداعيات التي أنتجتها على الكونغو .

الكلمات المفتاحية: الملك ليوبولد الثاني؛ الإرساليات التبشيرية؛ الكونغو؛ الحكومة الاستعمارية البلجيكية.

Abstract:

This research examines the role of Catholic and Protestant Christian Missions in the development of the Belgian colonial system in the Congo from 1876 to 1950, It traces the trajectory of missionary activity in the Congo from the arrival of the Portuguese in the 15th Century to the establishment of the Association Internationale du Congo (AIC) in The 1876 and the Second missionary expedition supported by King Leopold II of Belgium.

The research explores the integral relationship between the missions and the king, highlighting how the missions assisted Leopold II in personalizing the ownership of the Congo through their contributions to its annexation by Belgium in 1908 and their securing of a virtual monopoly on education until 1948 ,This allowed them to influence the formulation and implementation of colonial policy towards the native population until the mid-1950, The missions also indirectly contributed to the emergence of Congolese nationalist movements with a religious character, Such as the Kimbanguist movement, Which played a role in developing national consciousness and Congolese identity .

The significance of this research lies in its focus on the complex dynamics between religion and power in the context of Belgian rule in the Congo, It achieves this by investigating historical events, Ideologies ,And the effects of the partnership between the missionary societies and king Leopold II as well as the repercussions this partnership had on the Congo .

Key words : King Leopold II ,Missionary missions ,Congo ,Belgian colonial government

مقدمة:

الملك ليوبولد الثاني ملك بلجيكا شخصية فريدة تركت بصمتها الخاصة في تاريخ هيمنة الاستعمار الأوروبي على القارة الإفريقية، وتتجلى فرادته في طريقة احتلاله الاستثنائية للكونغو فضلا عن دوره كحاكم استعماري للمنطقة، حيث أنه في البداية وجهت الأنظار إليه من قبل الكثير على كونه محسن وصديقا عطوفا محبا للشعب الإفريقي لكن آثاره المزعوم لم يكن سوى واجهة وهمية استخدمت بعناية لتحقيق مآربه في تأسيس نظام قمعي واستغلال الكونغو وشعبها من خلال بناء نظام استعماري قائما ومظلما.

ومع ذلك بالرغم من سمعته تمكن ليوبولد من حيازة دعم دولي كبير استطاع من خلاله الاحتفاظ بمملكته الشخصية المعروفة بإسم 'هيئة الكونغو الدولية' لعقود حتى مع معارضة الحكومة الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية لنظامه الليوبولدي وجرائمه المرتكبة .

وقد كان الكرسي الرسولي واحداً فقط من بين العديد من المؤيدين لمغامرة ليوبولد في إفريقيا، وفي الفترة التي احتلت فيها البابوية مكاناً هامشياً في السياسة الدولية وأصبحت الدول الأوروبية تحوز على رؤى ذات أبعاد مستقبلية الجديدة، لم يكن بوسع الكنيسة أن تقف مكتوفة الأيدي وتتجاهل ببساطة المشاركة في مغامرة ليوبولد الإفريقية . خصوصا لما أتاحت مشاريع الملك المتغني بالإنسانية فرصا تبشيرية فريدة ما جعل من فكرة الانضمام إلى جوقة مؤيدي جهود ليوبولد في منطقة الكونغو هو الخيار الحكيم الوحيد للكرسي الرسولي، وقد وجد هذا القرار تأييدا قويا من قبل السلطات التبشيرية الرائدة التي زعمت أن عمليات ليوبولد في أفريقيا تمثل فرصة استثنائية ليس فقط لاستعادة أعجاد بعض البعثات المهجورة، ولكن أيضاً لإنشاء بعثات جديدة في المناطق الداخلية من أفريقيا التي لم يتم يسبق الوصول إليها حتى الآن .

وعندما ضم الملك ليوبولد الكونغو كملكية شخصية في عام 1885م قام بتمويل ودعم الكنيسة الكاثوليكية البلجيكية لمساعدتها في إنشاء بعثات في الكونغو وفي الواقع لقد أصبحت الكنيسة هيئة تحت سيطرة بلجيكية إلى حد كبير بحيث لم يستطع الأهالي التمييز بين إدارة الحكومة الاستعمارية والكنيسة البابوية .

وقد كانت مهمة الكنيسة وفقا للإدارة الاستعمارية تحضير السكان المحليين للتمدين والحضارة مساهمة بطريقة غير مباشرة في توطيد النظام السياسي الاستعماري البلجيكي في الكونغو.

بناء على ما سبق نحن نتساءل عن مدى تأثير تفاعل الدين والسلطة في سياق نشاط الارساليات التبشيرية في الكونغو وكيف ساهمت في تشكل وتماسك النظام الاستعماري البلجيكي في المنطقة ؟ وماهي الآليات التي استعملتها البعثات التبشيرية في تطوير التعليم بالكونغو وكيف أثر ذلك على الثقافة المحلية والهوية الوطنية؟

1- منطلقات تاريخية عن الكونغو:

تقع الكونغو في وسط القارة الإفريقية وتعتبر من أكبر الدول الإفريقية من حيث المساحة كما تمتد جغرافيا عبر حوض نهر الكونغو الذي يشكل معظم أراضيها وغابة استوائية خصبة جدا مع تنوع كبير في النباتات، يحدها من الشرق كل من أوغندا وتنزانيا، رواندا وبوروندي، أما الغرب فجمهورية الكونغو، شمالا جمهورية إفريقيا الوسطى والسودان، أنغولا من جنوبها الغربي والجنوب الشرقي

كما يعود أصل تسمية الكونغو إلى كلمة نكونغو "NKONGO" بمعنى الصيد²، وقد نشأت مملكة الكونغو انطلاقا من مشيخة "فونغو" شمال نهر الكونغو، بعدما انتشرت وضمت مشيخات الصغيرة والمجموعات الموجودة في أراضي الواقعة بالقرب من النهر شمالا وجنوبا.³

وتحتضن منطقة الكونغو العديد من القبائل والشعوب الذين يعودون في الأصل إلى قبائل البانتو الذين هاجروا من الكامرون ونيجيريا ووصلوا إلى غاية مصب نهر الكونغو⁴، ويشغلون معظم وسط افريقيا في الوقت الحاضر، كما تحوز الكونغو على ثلاثة أجناس أخرى على غرار البانتو التي هي أكثرهم عددا، فنجد من السكان الغير أصليين والذين هاجروا إلى المنطقة بحثا عن المنافذ التجارية كالعرب والهنود والأوروبيون.⁵

ووفقا للروايات الشفوية يعد "نيمي لوكيني" هو المؤسس الحقيقي لهذه المملكة وذلك بالتحالف مع الزعيم المحلي في هذه المنطقة والمدعو "كابونغغا" وذلك حوالي 1390م، وقد شملت ست مقاطعات هي : مباتا ،سويو ،نسوندي ،مبانغو ،مبامبا وأخيرا مبيمبا وعاصمتها مبانزا كونغو وسكانها ينتمون لشعب البانتو والأقزام.⁶

وقد هيمنت الكونغو بين القرنين الخامس والسادس عشر على كامل المنطقة الممتدة بين هضبة بنغويلا وما وراء نهر كوانغو حيث شملت نهر 'أنكيسي' وحتى نهر 'الوجي' كما أنه قد عرفت هذه المملكة الطبقية الاجتماعية وقد انقسمت إلى ثلاث طبقات هي طبقة النبلاء وطبقة القرويين بالإضافة إلى طبقة العبيد حيث شكل النبلاء هيكل بناء المملكة وكانوا يقطنون المدينة وهم من أقارب الملك أو أسلافه ويشغلون أهم الوظائف الإدارية.⁷

كما اتبعت الكونغو نظام الحكم المركزي على مستعمراتها، وقد ساعدها في ذلك عدة عوامل منها إصدارهم لعملة تحت رقابة الملك ووجود قوة عسكرية من حرس ملكي وجنود مسلحة وهو الأمر الذي جعل المملكة تركز على أعمدة قوية.⁸

2 - مسار الإرساليات المسيحية في الكونغو عبر العصور الوسطى والحديثة :

إن تاريخ الاستعماري الأوروبي في إفريقيا يروي بشكل دقيق أحداث التغلغل المسيحي منذ تأسيس البعثات الكاثوليكية البرتغالية في القرن الخامس عشر ورحلاتها على مختلف بقاع القارة الإفريقية من خلال الكشوفات الجغرافية الأولى ومحاولة نشر المسيحية إلى غاية دخول البعثات البروتستانتية والكاثوليكية في نهاية القرن التاسع عشر وقد رافق هذا التغلغل سلسلة من التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي كان لها أكبر تأثير على المجتمعات الإفريقية عامة والمجتمع الكونغولي خاصة، إذ أدى إلى إدخال تقنيات جديدة وديانة بديلة وأشكال من تنظيمات اجتماعية مغايرة سنتطرق إليها فيما يلي :

1 - 2 البعثات المسيحية البرتغالية في مملكة الكونغو خلال الكشوفات

الجغرافية:

تظهر البوادر الأولى لدخول الديانة المسيحية في الكونغو في القرن الخامس عشر من خلال الكشوفات الجغرافية البرتغالية بقيادة ' ديو فوكا ' (Diogo Cão)، وقد كانت هذه الكشوفات تمثل بعثات كاثوليكية برتغالية الهدف منها نشر التبشير الديني، ونجح ديو فوكا بفعل جهوده في تنصير المنطقة وجذب الملك 'نزينغا أنكو' (Nzinga Anko) لاعتناق الديانة المسيحية الكاثوليكية، وأصبح معروفا تحت إسم الملك 'جواو الأول' (João I)، وقد كان هذا التغيير بمثابة نقطة التحول حيث جذبت مملكة الكونغو انتباه البرتغاليين بسبب إمكانية تطوير علاقات تجارية مجدية.⁹

وبالفعل تم تعزيز العلاقات الدبلوماسية مع الكونغوليين وقد ظهرت مدى صلابه هذه العلاقة من خلال المراسلات الموجودة في سجلات الملك أفونسو الأول (Afonso I) (1506 - 1543م) عن وجود علاقات سياسية بين المملكة وأوروبا وتظهر هذه الوثائق التي صاغها بعض أفراد الكونغوليين عدم رضا الملك أفونسو عن مشاركة الأوروبيين في تجارة الرقيق وانحراف الرسالة الإيمانية التي حملها المبشرين داخل مملكته.¹⁰

كما أظهرت سجلات الملك أفونسو نجاحه في إقامة علاقات دبلوماسية مع الفاتيكان والبرتغال إذ كان أفونسو الأول مدركا تماما لوجود تجاوزات في تعامل الأوروبيين معهم الناتجة عن تجارة الرقيق إلا أنه قرر استغلال البرتغاليين لتحسين المملكة مع التركيز على ضمان تعلم رعياء البناء والتجارة والعلوم من البرتغاليين فقد كان يرى قدوم البعثة الأوروبية بمثابة بركة من السماء.¹¹

غير أنه كان لتلك البعثات غاية أخرى فسرعان ما ظهرت أهدافهم الخفية لساحة وتغيرت شعارات البعثة البرتغالية من حملة لشعلة الإيمان في المنطقة إلى حماية لمصالحهم الاقتصادية الخاصة الأمر الذي بدأ في التأثير والتقييد على مملكة الكونغو بغرض منعها من إقامة علاقات مع ممالك أخرى وحرصهم على حصرتهم فقط في استغلال العبيد من منطقة الكونغو لتوسيعهم لتجارهم في البرازيل.¹²

هذا التحول أثر على إمبراطورية الكونغو في كينونتها، فلم تعد تعتمد على خدمة سكانها بل صارت إمبراطورية تعتمد على استغلال السكان بلا رحمة وتجارة عبيد وحشية، فتلك التدخلات والتجاوزات الأوروبية التي لم تؤدي فقط للاستغلال اللانساني للسكان بل حتى في تفجير النزاعات على المستوى الداخلي بين القبائل المختلفة فقد أشعل صراعا مستمرا بين قبيلة الباكونغو الحاكمة وقبيلة الجاجا التي هاجمت الباكونغو بسبب محاولاتهم للسيطرة والتحكم في تجارة العبيد وكانت نتيجة هذه المعركة تمتد لقبائل متعددة ما نجم عنه تشويه

للتبشير الاجتماعي للسلام والتعايش الذي كان قد تم بناؤه على مر القرون ، التشوه الذي أثر بشكل كبير على استقرار ووحدة المنطقة التي كانت مزدهرة قبل المجيء الأوروبي للمنطقة ، وفي ظل ذروة التجارة البرتغالية من الكونغو إلى البرازيل تذكر المصادر التاريخية تصدير ما لا يقل عن عشرة آلاف شخص سنويا .¹³

وبالتالي رغم أهمية هذه البعثة الأوروبية كركيزة أولية ذات تأثير عميق ومتنوع من حيث تقديم عقيدة جديدة وتبينها من قبل السكان الكونغوليين وكذا إقامة أواصر دينية جديدة إلا أن سلوكيات التي انتهجها الأوروبيون في تعمد في استغلال هذه الفرصة لتحقيق أهدافهم الاقتصادية والسياسية جعل من ترسيخ المسيحية كهوية ثقافية دينية لمملكة الكونغو أمر يسير التحقيق.

2. 2 - العودة البعثية المسيحية الثانية إلى الكونغو خلال القرن التاسع عشر :

في أواخر القرن التاسع عشر سعت البعثات المسيحية العودة إلى الكونغو حيث كانت كل آثار الجهود البرتغالية الواعدة في القرن الخامس عشر وأوائل السادس عشر قد اختفت تماما¹⁴ ، وقد أصبحت مملكة الكونغو التي أنجبت عدة أجيال من الملوك المسيحيين وآلاف المعتنقين بالإضافة إلى رجال دين الأفارقة والأساقفة قد طمست حرفيا بسبب انتشار الإسلام آنذاك في شرق الكونغو اثر توغل العرب بها وتأسيس دولة حمد بن حمد المرجي الإسلامية¹⁵ ، بالإضافة لتجارة العبيد الأوروبية والتي دفعت الكنيسة ثمنا باهظا نتيجة فشلها في كبح جشعها .¹⁶

علاوة على ذلك ، شهدت القرون الوسطى والحديثة تزايدا في الإحساس الإنساني في أوروبا مما حرك من ضمير المسيحيين تجاه معاناة البشرية إلا أنه وفي الواقع كان هذا الاهتمام برفاهية الأفارقة بمثابة العامل الهام في انفجار النشاط البعثي مرة أخرى خلال القرن التاسع عشر ومع ذلك لما أسفرت المرحلة الثانية عن بدايتها من التفاعل الأوروبي الأفريقي كان

نتيجة للرغبة الخالصة في استغلال ثروات الكونغو الحرة من موارد طبيعية وبشرية والذي يتساوى في نفس قسوة عامل المرحلة البعثية المسيحية الأولى.¹⁷

ولما تولى ليوبولد الثاني (Leopold II) ملك بلجيكا العرش سنة 1865 م كان مهووسا بفكرة تأمين مستعمرة لبلجيكا لأن رحلاته إلى سيلان والهند وروما ومصر قد عززت الرأي القائل أن بلاده الصغيرة تحتاج إلى ممتلكات في الخارج لكسب أي وجود على المسرح العالمي فكرس وقته للبحث في تاريخ القوى الاستعمارية الأخرى والأساليب المنتهجة في إدارة مستعمراتهم وحقيقة أن الكونغو لم تكن خياره الأول فقد كان يملك استثمارات في قناة السويس لكنه في نهاية المطاف وجه عينيه إلى واحدة من أغنى سبعة مناطق الغير مستعمرة في إفريقيا بعد ان شدت أنظاره رحلة هنري مورتن ستانلي (Henry Morton Stanley)¹⁸ الاستكشافية الثانية التي أعطت له وصفا دقيقا للأرض التي سيحتلها قريبا ومن أجل أن يكسب شرعية وتبريرا أخلاقيا لاستعمارهم ادعى أنه يسعى لتخليص الكونغو من هيمنة تجار الرقيق العرب وإحلال السلام بين القبائل فيها وما شابه¹⁹

وفي منتصف القرن التاسع عشر بدأت القارة الإفريقية تحتل مكانة مركزية في ظل الصراعات الأوروبية حيث صارت ملامح تقسيمها تظهر جالية بوضوح ابتداء من عام 1876 م وعلى إثرها قام الملك ليوبولد بتأسيس جمعية إفريقية عالمية في بروكسل²⁰، تهدف في ظاهرها لاستكشاف القارة السمراء ونقل معالم الحضارة والتمدن إليها وكذا من إلقاء لنظام الرق وهي مزاعم أثارت حماسه، وإدخال المبادلات التجارية الحرة ونشر المسيحية حيث استطاعت هذه الشركة السيطرة على حوض الكونغو سنة 1878 م ، فقام بعقد مؤتمر دولي للجغرافيين حول العالم وللمهتمين بالدراسات الإفريقية ببروكسل 12 سبتمبر 1876 م وذلك لكشف الأقاليم الواقعة في قلب القارة والتمهيد لاستثمار مواردها فأسفر

المؤتمر عن إنشاء ' الهيئة الدولية لكشف إفريقيا ' التي بدأت نشاطها بإرسال عدة بعثات للعمل على تأسيس محطات في إفريقيا .²¹

ولم تكن الجهود المبذولة تتم من طرف الملك ليوبولد فقط فقد كانت تشاركه الإرساليات التبشيرية نفس التوجهات الفكرية محاولة استغلال الأفكار الاستعمارية لصالحها في تنصير الأفارقة ،وقد بدأت المبادرة الأولى للبعثات التبشيرية في الكونغو من قبل الكنيسة البروتستانتية حيث قدم السيد أرثينجتون رجل أعمال بريطاني في ماي 1877 م مساهمة بقيمة 1000 جنية إسترليني لجمعية التبشير المعمدانية لتأسيس إرسالية في مدينة سان سلفادور التي فقدت كل آثارها المسيحية السابقة إلا أنها كانت بمثابة تمهيد للوصول إلى منطقة نيانغوي، وبالفعل جمعت الجمعية تبرعات كبيرة واختارت كل من جرينفيل وكوبر وهما مبشرين قد سبقا لهما العمل في الكاميرون، حيث حطت البعثة البروتستانتية الأولى في سان سلفادور في 8 أوت 1878م وتم استقبالهم بحفاوة من دوم بيدرو (Dom Pedro) ملك الكونغو (1885 - 1889 م) .²²

بهذا تمكنت أول بعثة بروتستانتية التابعة لجمعية المعمدانية البريطانية للبعثات الكنسية من الوصول إلى الكونغو²³ (BMS) سنة 1878 م لكنها وجدت نفسها مهددة بتحقيق البرتغال السيطرة على المنطقة وهنا جاء دور الملك ليوبولد الثاني ملك بلجيكا الذي كان يخطط في تلك الفترة لضم الكونغو تحت سيطرته تحت مسمى دولة انسانية مسيحية ما جذب انتباه الارساليات التبشيرية إليه خصوصا من خلال وعوده بإقامة منطقة تجارة حرة في الكونغو تسمح للمبشرين بالدخول إليها دون عوائق .²⁴

فاستقبل ليوبولد الثاني بحرارة دعم البعثات البروتستانتية التي سرعان ما بدأت في نشر مناطق عملها لتشمل كل من ماتادي، كينشاسا، لوكوليل، تاكوسو بل وبفضل استمرار

أنشطة ستانلي تمكن المبشرون البروتستانت من عبور نهر الكونغو لتشمل المناطق الأخرى المحيطة به .²⁵

وكانوا يعتمدون على أكثر من اثني عشر مبشرا بريطانيا بالإضافة إلى بعض السكان المحليين الذين قاموا بتنصيرهم²⁶ ، فتمكنوا من بناء محطات مسيحية في الكونغو العليا وبفضل جهود البعثات البروتستانتية حصل ليوبولد على الدعم اللازم لإقامة سيطرته على الكونغو بموجب قانون برلين لعام 1885 م .²⁷

وبالفعل تم تسخير حوالي 2450 مبشرا بتكلفة تقدر نحو عشرة ملايين فرنك ومن بين هؤلاء المبشرين فقط 50 منهم نجح في عملياته التبشيرية نظرا للمعارضة التي واجهتها البعثات التبشيرية من السكان الأصليين .²⁸

ومن المعلوم أن هذه الجمعيات التبشيرية في الغالب من الولايات المتحدة الأمريكية والسويدية المنظمة بقوة واستقرت في مناطق مختلفة من الكونغو منها بعثة ليفنجسون الداخلية التي وصلت إلى الكونغو عام 1878م قادها المبشران الأمريكيان سترون وكرافن وفي عام 1884م تم تسليم هذه البعثة إلى الاتحاد التبشيري المعمداني الأمريكي التي عملت على توسيع عملها بداخل الكونغو ،أيضا بعثة سفيسكا (Svenska) والتي أسسها بعض المبشرين السويديين الذين كانوا جزءا من بعثة ليفنجستون الداخلية في عام 1881 م.²⁹

بحلول سنة 1883 م تمكنت العديد من الإرساليات المسيحية من حط رحالها في الكونغو فاستقرت الجمعية الفرنسية ' الروح المقدسة ' بقيادة الأب بروسير فيليب أوجوارد (Prosper Philippe Augourad) في بوما بالقرب من الحوض السفلي لنهر الكونغو برعاية هنري ستانلي ،وبعثة غارينغانزي (Garenganzel) الإنجليزية، بعثة الكونغو بالولو 1887م، وكذلك تأسست العديد من التجمعات والرهبان ومعاهد الكهنة

التي قبلت المهام التبشيرية في الكونغو إلى جانب كهنة القلب المقدس سنة 1897 م³⁰

كما تمكنت هذه البعثات من تأسيس عدة محطات وجلب العديد من المبشرين حيث كان هناك ما يقارب 192 محطة إرسالية وبحلول عام 1909 كان لديها 32 كنيسة و 5,000 رجل و 7,000 طفل.³¹

3 - الإرساليات المسيحية ودورها في إعادة تشكيل الهيكلة السياسية و الاجتماعية للكونغو :

في إثر عملية ترسيخ الاحتلال الاستعماري البلجيكي وحكمه المستقل، أدرك الملك ليوبولد الثاني أهمية المحتملة لدور البعثات المسيحية في هذا السياق وعمل على توجيهها بذكاء لصالحه وسط المنافسة الأوروبية المتقدمة على الكونغو.³²

فقد أثبتت البعثات البروتستانتية فائدتها كحليفة لمشروع ليوبولد في تعزيز موقعه بدولته المستقلة وشرعيته ضد المصالح المنافسة رغم كشفهم لفظائع نظام 'المطاط الأحمر'³³ الذي كان عاملا كافيا لتحفيز الرأي العام الدولي ضد ليوبولد خصوصا وكون الكونغو مرتعا للتنافس الأوروبي إلا أن ليوبولد فيما بعد بدأ يرى فيهم خطرا محتملا على مشروعه في وسط إفريقيا، فبداية كان ليوبولد كاثوليكيًا متعصبا للنخاع وكانت تلك البعثات تدين بالمذهب البروتستانتي وبشكل أهم كانوا أجانبا ولذلك من أجل توسيع دولته عمل على تقليل من نشاط البعثة البروتستانتية ما بين عامي 1887 - 1889م وسعى للحث على إنشاء أوامر للرهبانية الكاثوليكية البلجيكية بغية إرساء قواعدها في ملكيته الخاصة والذي سيكون ولاؤهم وسيطرتهم أكثر تأمينا لإقامة محطات في الكونغو وتوفير الوجود البلجيكي كما كانت لديه آمالا بأن مشاركة الرهبان البلجيكيين قد تحفز الاهتمام بالمستعمرة بين مواطنيه المحليين.³⁴

وبالتالي سعى الملك ليوبولد لتأسيس أبرشية بابوية خاصة بالكونغو رسميا بحلول سنة 1888م، وكان هذا نتيجة للضغط المستمر الذي مارسه على الفاتيكان لمساعدته في مساعيه لحيازة السيطرة التامة على الكونغو، فأرسل الملك ليوبولد مبعوثا إلى روما بقيادة رئيس الأساقفة مالنيس لإقناع الكنيسة بمساعدته في إنشاء مركز تدريب لتعليم الكهنة الذين سيتم تعيينهم في إفريقيا .³⁵

الجدير بالذكر أن العامل الأكثر أهمية في خلق الدعم الكاثوليكي لليوبولد لم يكن سوى تغنيه بالحملة المناهضة لتجارة الرق العربية وضرورة تحرير الأفارقة من العبودية وإدخال المدنية والتحضر إلى الكونغو، وقد ساعده في ذلك إطلاق الكاردينال لافيغري (Lavigerie) رئيس أساقفة الجزائر شعارات منددة بتجارة الرق العربية وقد كان يعتبر أحد أبرز المؤثرين في الرأي العام للكنيسة الكاثوليكية ومن الساعين في إحياء الجهد التبشيري الكاثوليكي في إفريقيا أواخر القرن التاسع عشر حيث راح الكاردينال الفرنسي يجول عواصم أوروبا في عام 1888 م يعظ ضد رعب تجارة الرق العربية في محاولة للضغط على القوى الأوروبية لاتخاذ إجراء بطريقة مميزة .³⁶

فحاول ليوبولد الاستفادة من حماس الضجة الإعلامية الذي أثاره خصمه القديم لافيغري لأغراضه السياسية الخاصة، خصوصا في ظل توسعات التي حققها العرب في الكونغو وسيطرتهم على محطة ستانلي فولز وتجارة العاج .³⁷

وبالفعل تمكن ليوبولد من حيازة الموافقة على هذا المشروع تحت قناع غطاء الإنسانية، وبحلول 26 ماي 1906 م تم توقيع اتفاقية 'كونكوردات' Concordat بين ليوبولد والكرسي الرسولي في الفاتيكان، حيث تنص أحكام الاتفاقية الرئيسية على أن الكنيسة الكاثوليكية ستتلقى مساعدات مالية من الدولة بالإضافة إلى تخصيص من 100 إلى 200 هكتار من الأرض لكل محطة بعثة كاثوليكية في الكونغو والتي ستكون عبارة عن ملكية

دائمة لها ³⁸، كما شملت الاتفاقية أيضا على تقديم صلاحيات ذات نطاقات واسعة للكاتوليك من قبل الدولة البلجيكية تجاوزت سلطتها الدينية المختصة في متابعة مزاوله نشاطها التبشيري عبر الكونغو ضمت مختلف المجالات من التعليم والممتلكات والشؤون القانونية والمالية . ³⁹

إذ أشرفت الإرساليات الكاثوليكية على تنظيم وإدارة عمليات الاستغلال ونقل الموارد في مناطق مختلفة من الكونغو حيث استخدمت العمالة الإفريقية لنقل البضائع تحت مسمى ' نظام نقل البضائع عبر الأدرج ' حيث كان السكان المحليين يرسلون في مهمات للأماكن التي كان من الصعب للحيوانات الوصول إليها وقد كانت سياسة العمالة الإفريقية ذات أهمية كبيرة وضرورية لضمان نجاح نقل الموارد عبر البلاد، ولم يكن هذا سوى مثالا وحشيا على استخدام الكنيسة الكاثوليكية تحت إشرافها وإدارتها لنظام العبودية . ⁴⁰

بالإضافة إلى إشرافها على ضريبة العمل التي فرضت من قبل الإدارة الاستعمارية عام 1906م على السكان المحليين من خلال جمع كمية معينة من المطاط أو العاج شهريا التي حرص المبشرون على تحصيلها، وقد كانت الأرباح الذي يتم الحصول عليها من هذا النظام مرضية إلا أن التكلفة البشرية مروعة، حيث تم حرق القرى التي لم تلتزم بمواعيدها، وتم اختطاف الرهائن وتنفيذ عقوبات وحشية ضد السكان الراضين لسياسة الاستعمارية المنتهجة . ⁴¹

كما كان يقع على عاتق الكنيسة أيضا مسؤولية الدراسات الجغرافية والإثنوغرافية لمنطقة الكونغو والتي يتعين عليها إبلاغها للإدارة الاستعمارية، بالإضافة إلى تضمن الاتفاق الكونكورداتي أيضا بندا يقضي بأن تقوم الكاثوليك ببناء المستشفيات والكنائس في جميع أنحاء الكونغو وإنشاء مدارس لغرض تعليم الكونغوليين. ⁴²

3 . 1 - الإرساليات التبشيرية والتعليم في الكونغو :

لقد سعت الإدارة الاستعمارية بالتواطؤ مع الرهبان الكاثوليك بتحقيق مطامعها المتعددة في الكونغو عبر تكليف الكاثوليك بمهمة تعليم السكان المحليين خصوصا الأطفال منهم كجزء من سياسة ليوبولد المنظمة للسيطرة على المستعمرة ، حيث عزم على إنشاء مستوطنات للأطفال تعمل على تقديم التعليم الديني والمهني الكامل لأطفال الكونغو، وتلقينهم تدريبا عسكريا ليصبحوا جنودا مدربين لقوة الجيش البلجيكي .⁴³

حيث صدر مرسوم من الدولة منح الأول الصادر في 12 جويلية 1890 م واجب التعليم ورعاية الأطفال في المستوطنات الخاصة كليوبولد فيل ، أما المرسوم الثاني الصادر في 4 مارس 1892م فقد أعطى الحق في ممارسة الكنيسة نفس الإشراف على هذه الفئات التي وافقت عليها السلطة الاستعمارية⁴⁴ ، وهذا لبناء مجتمع كونغولي وتشكيله وفقا لرؤية السلطات البلجيكية والإرساليات المسيحية، فالتعليم الذي استخدمه المبشرون كان بمثابة الأداة الرئيسية لتعزيز المسيحية وتكوين هوية لسكان المحليين تنصهر مع القيم والمعتقدات الأوروبية، وتشجع الأطفال على اعتماد نمط وحياة تمتزج مع متطلبات السلطة الاستعمارية والكنيسة ذات منهج نوعي للتعليم يهدف إلى إنشاء جيل جديد من الكونغوليين يكونون ولاء للاحتلال ويعملون وفق ما يخدم مصالح الحكومة الاستعمارية البلجيكية من خلال تعليم السكان المحليين المهارات من القراءة والكتابة والحساب والمهارات اليدوية بالإضافة للقيم الغربية الأوروبية .⁴⁵

وقد كانت المدارس الاستعمارية في الكونغو قليلة العدد ومتاحة فقط لعدد صغير من الكونغوليين في البداية ،ومن أشهرها مدرسة الكونغرس التي تأسست عام 1905 م وكانت متخصصة في تدريب الكونغوليين للعمل في الإدارة الإستعمارية ،أيضا مكتبة الكتبة المتخصصة في تدريب الكونغوليين للعمل في الخدمات الكتابية⁴⁶ ، ومدرستان خاصتان للتدريب تم تأسيسهما في عامي 1897 - 1906 م ساهمت في تأهيل الأطفال للخدمة

العسكرية والمدنية في المستعمرة أما بالنسبة للسكان الأصليين الآخرين فكانت تتوفر مدارس مهنية ملحقة بمراكز العمل في بوما وليوبولد فيل وستانلي فيل، والتي تدار من قبل المبشرون الكاثوليك وفيما بعد البروتستانت .⁴⁷

وتذكر المصادر الأجنبية دقة وتنظيم التي تميزت به المدارس والمستوطنات في جميع أنحاء الكونغو وقد وصف هذا العمل بكونه يتميز 'بدقة لا هودة فيها' ليظهر الطريقة القاسية والوحشية التي تم تنفيذ بها هذا النوع من السياسة، حيث سعت الإرساليات الكاثوليكية لجلب الأيتام والمبشرين اجتماعيا من القرى التي غارها الجنود البلجيكيين أو يتامى المواطنين الذين قتلوا نتيجة للأمراض القاتلة التي احتاجتهم بسبب نمط حياتهم الزراعي واضطرابهم لاستخراج المطاط⁴⁸، وتم الحفاظ على الانضباط السلوكي في هذه المستوطنات من خلال تكرار عملية جلد الأطفال بواسطة الشيكوت وهو سوط مصنوع من جلد فرس النهر وتقييدهم لساعات طويلة .⁴⁹

ومما لا شك فيه أن هذه المدارس استعملت كمراكز عسكرية لتجنيد الأطفال مستقبلا في القوات العسكرية البلجيكية، وكان دور الإرساليات التبشيرية هنا الحرص على زرع أفكار الاستعمار في عقول الأطفال بطريقة تجعلهم يكونون الولاء ويصبحون جنودا وعملاء يخدمون مصالح القضية الاستعمارية البلجيكية .⁵⁰

أما فيما يخص التعليم العالي فقد كان مرفوضا بداية من قبل الحكومة الاستعمارية البلجيكية ولم يتم السماح للكونغوليين بإتمام دراستهم في الخارج مخافة أن يؤدي ذلك لخلق نخبة محلية ذات تهديد لهيكل السلطة البلجيكية⁵¹، غير أنه بعد سلسلة من الاجتماعات التي توجت بجلسة عامة لأساقفة الكنيسة الكاثوليكية في عام 1945م قرر البلجيكيون توفير مؤسسات التعليم العالي للكونغوليين سنة 1948م، حيث اقرت الإدارة الاستعمارية خلق فرص تعليم عالي منها للكونغوليين وأخرى منفصلة للنخبة المتنامية وقد أدى ذلك إلى

إنشاء 'Ecole des Sciences Administrative' في كيشانسو 1947م والتي قامت بتدريب العديد من الكونغوليين لشغل مناصب في الإدارة الاستعمارية وإن كانت تلك المناصب لا تتناسب مع مستوى تعليمهم، إلا أنه سرعان ما تم إغلاق الجامعة عام 1956م نتيجة المعارضة الشديدة لأوغست بويسريه (Auguste Bousseret) وزير الحكومة الاستعمارية.⁵²

3 . 2 - دور الإرساليات التبشيرية في ظهور حركة كيمبانغو :

إن تأثير التبشيري كان جاليا بوضوح في بروز الحركات المسيحية والانفصالية التي تطورت في الكونغو وقد كانت هذه الحركات ذات قومية مبكرة على الرغم من كونها تجلت بشكل مختلف عن الحركات السياسية اللاحقة والأكثر علانية إلا أنها بكل تأكيد عبرت عن العديد من المظالم التي شهدتها سكان الكونغو في مواجهتهم لسياسة القمع الاستعمارية البلجيكية والممارسات التبشيرية التي أدت بدورها إلى تفكك نمط الحياة التقليدية التي عرفته شعوبها .

حيث كانت قبائل الكونغو الأصلية تدين بالوثنية مؤمنة بعالم الأرواح والأسلاف ولما صارت تواجه مختلف الضغوطات الاستعمارية بسبب السياسة الوحشية المنتهجة ناتجة عن المطاط الأحمر ونظام السخرة وكذا القتل التعسفي والتعذيب للسكان الأصليين على يد البلجيكيين ووكلائهم، أيضا عامل انتشار مرض النوم بين عامي 1890م و1913م ووباء الأنفلونزا الإسبانية 1918م الذي أدى بدوره لفقدان أكثر من سبعة وسبعين من المائة من السكان المحليين فلم يعد بإمكانهم سوى التوجه للقادة الروحانيين في محاولة منهم لتخفيف من وطأة قسوة الاحتلال والتشبث ببصيص من الأمل.⁵³

وإثر هذه العوامل ظهر ما يسمى بحركة النبوة الأصلية في الكونغو، وهي حركة دينية في بداية نشأتها وسياسية لاحقا ذات أنصار غالبيتهم من الفلاحين، حيث تدعى بالحركة

الكيمبانغية نسبة إلى مؤسسها الفلاح سايمون كيمبانغو (Simon Kimbangu)⁵⁴

يدعي سايمون تلقيه دعوة روحية في عام 1918م إلا أنه لم يلتفت إليها وقد كان مرتبطاً بالمبشرين المومنين البريطانيين، وفي أحد أيام أبريل عام 1921م أثناء تجوله في قريته، سمع صراخ امرأة في ألم فذهب إليها ونجح في شفائها من خلال الدعاء إلى المسيح ومستخدم الكتاب المقدس وتعاليم المسيح مع دمج العديد من الممارسة التقليدية الوثنية.⁵⁵

وقد لجأ سايمون في نشر تعاليمه إلى الرد على الأسئلة وأن روح الرب قد مسته فأصبح قادراً على شفاء المرضى وإبطال مفعول السحر وإحياء الموتى، وفي عام 1921م قال لتلاميذه الذين تملكهم عندئذ الفخر بمسيحيتهم الأسود لاعتقادهم كونه مبعوث الله ونبيه وابنه⁵⁶، كما كان تلاميذه يقرؤون الكتاب المقدس ويغنون ترانيم بروتستانتية ويرقصون وينخرطون في طقوس مدمجة بين الوثنية والمسيحية، وقد تبنى سايمون عقيدة المذهب البروتستانتي التي تسمح بتعدد الزوجات والرقص والمشروبات الكحولية.⁵⁷

وفي بادئ الأمر اعتبرت الإدارة الاستعمارية هذه الحركة الأصلية مسألة دينية غير مرتبطة بإدارة المستعمرة، إلا أنه ومع انتشار شهرة أساليب كيمبانغو وتهرب العمال من مسؤولياتهم حتى يتمكنوا من زيارة ساميون طلباً للمساعدة في حل مشاكلهم، بالإضافة إلى بدء السكان الأصليين لترك الكنائس الكاثوليكية والبروتستانتية للحصول على خدمات كيمبانغو الدينية هذا الأمر الذي بدأ يؤثر على النشاط الاقتصادي، كما كانت أنشطة سايمون تحفز الناس على اتخاذ إجراءات سياسية مناهضة للوجود الاستعماري في الكونغو، هذا الذي جعل الحكومة تسعى جاهدة لاعتقاله حيث القت عليه القبض في نكامبا عام 1921م متهمة إياه بمهاجمة السلطة الاستعمارية وحكمت عليه بالإعدام غير أنه تم تخفيف عقوبته في وقت لاحق إلى السجن مدى الحياة.⁵⁸

الجدير بالذكر هنا أنه بالرغم من مساهمة البعثات المسيحية في نشأة هذه الحركات الدينية إلا أنها لم تكن متعاطفة معها بأي شكل من الأشكال حيث تم رؤيتها على كونها حركة معادية للتواجد الاستعماري ومعادية للبيض وثورية ،وأخيرا على كونها مهددة لجهود الأنشطة التبشيرية الخاصة ومع ذلك فلا يمكننا إنكار الدور الذي لعبته البعثات المسيحية ولو بشكل غير مباشر في تنمية الطابع السياسي لهذه الحركات ولم يكن إلا في وقت لاحق بكثير أن أصبحت هذه الحركات خاصة الكاثوليكية منها مقبولة بوعي وعقلانية كالحركة القومية الكونغولية التي قادت بالبلاد إلى الاستقلال.⁵⁹

3 . 3 - الإرساليات ودورها في تشكيل السياسة الاستعمارية في الكونغو :

اجتهدت البعثات الدينية المسيحية في الكونغو لتبني موقفا إيجابيا تجاه جهود الدولة البلجيكية في ترسيخ سلطتها بل وسارعت في كثير من الأحيان في الانخراط وبشكل مباشر في أنشطة تفوق دورها الإنجيلي ،حيث عمل هؤلاء المبشرين كمساحين ،اللغويين ومسجلين بغرض تأسيس حكم فعال في الكونغو .⁶⁰

إذ كان لابد من وجود عدد من المسؤولين الاستعماريين وفي ظل صعوبة ليوبولد تجنيد ما يكفي من البلجيكيين لخدمته أضطر لتوكيل أجاناب على شغل العديد من المناصب كوكلاء لدولته وبالمثل وكانت الحكومة البلجيكية بدورها غير مستعدة لتكبد النفقات المالية الكبيرة المطلوبة لبناء منظومة استعمارية قوية في الكونغو ،هذا الذي سمح لها الاستعانة بالبعثات المسيحية وتسخيرها بشكل يخدم مصالحها بالدرجة الأولى فكانت الإرساليات المسيحية تقوم بوضع المزيد من الموظفين في المنطقة مقارنة مع الدولة ونظرا لغياب وكلاء البلجيكيين صارت الإرساليات لدى السكان المحليين رمزا وتمثيل لقوة الحكومة الاستعمارية والرجل الأوروبي الأبيض في حلتهم الغير رسمية .⁶¹

وكثيرا ما كان يقوم المبشرين بدور ' المترجمين ' للمطالب والقوانين التي تصدرها السلطات الاستعمارية في حق السكان المحليين في كثير من الأحيان ، فكانوا يعملون كوسيط بين الإدارة الاستعمارية والسكان بل وحتى قد خولت لهم السلطة التي تسمح بفك النزاعات القبلية وتسويتها ، وقد تمثلت وظيفتهم الأساسية في جعلهم آليات ممتازة للسيطرة الاجتماعية

62 .

لم يكن المبشرون غافلين عن الدور الذي قاموا به في خدمة الادارة الاستعمارية ، حيث أشار الأب ستانيسلاس دو فوس (Stanislas De Vos) الذي كان المطران والأسقف الرسولي لمنطقة الكونغو بشكل صريح في قوله { إذا لم تعد هناك أي متمرديات يجب أن يعزى ذلك في المقام الأول الى الخوف الذي ألهبته الدولة البلجيكية ، ولكن أيضا حقيقة أنه في داخل كل مجموعة سكان أصلية وجد مسيحيون على أوج اليقظة لإبلاغ السلطات بالأمر } .⁶³

كما عبر فيليسيان كآتييه أحد أبرز النقاد البلجيكيين للنظام الاستعماري عن الحكم الجائر البلجيكي ونفاق الكنيسة بقوله { على مدى أكثر من ثلاثة عشر عاما ، شهد المبشرون تطبيق نظام الضريبة على العمل من حوله بكل تابعياته ، وشاهدوا تقليص السكان ، وشهدوا بلا حراك حرق القرى وسلب الأراضي ونهبها ، لقد ظلوا صامتين ، ولم يكن لديهم خلال هذه الفترة الطويلة إلا الإشادة بسياسة الدولة ، ... ستقول الأجيال القادمة أن الكنيسة الكاثوليكية لم تكن مهمتها بشكل أكثر وضوحا قط قبلا وأنها لم تخالف أخلاقياتها وقيم مؤسسها بشكل أكثر صراحة ... } .⁶⁴

وبهذا فإننا نجد أنه في معظم مناطق إفريقيا خاصة المستعمرات البريطانية والفرنسية تراجعا للتعاون الوثيق بين البعثات المسيحية والدولة الذي كان السمة البارزة للفترة الأولى من الاستعمار من حيث نطاق نشاطها وكثافته مع تطور سياسة الإدارات الإستعمارية إلا أن

الأمر لم يكن كذلك في الكونغو حيث استمرت وضاعفت البعثات الكاثوليكية على وجه الخصوص من سلطتها ونفوذها السياسي .⁶⁵

وقد لجأ ليوبولد لاستخدام البعثات الكاثوليكية على وجه الخصوص لتعزيز وتوسيع دولته المستقلة مع تراجع نفوذه تحت تأثير هجمات البعثات البروتستانتية وأصبح يعتمد بشكل متزايد على الإرساليات الكاثوليكية لدعم وضعه وتماشوا مع سياساته المنتهجة بأشكالها الوحشية كما دافعوا عنه عن طريق اللجوء لشهادات معتمدة من مبشرين ذوي مناصب عليا بالفاتيكان كالنونسو البابوي في بروكسل والأساقفة الأوروبيين والأمريكيين في تصدي للضغوط العامة المتزايدة للتدخل الدولي .⁶⁶

بالفعل إثر الدعم الذي منحتة الكنيسة استطاع ليوبولد كسب تأييد الرأي العالمي وضم الكونغو لبلجيكا، الذي سمح في تحقيق تحول جذري على مستوى الدينامكية السياسية والاجتماعية ليس فقط في هيئة الكونغو بل شمل ذلك دولة بلجيكا، وصارت الإرساليات المسيحية الكاثوليكية في موقف أقوى حتى أمام الحكومة الاستعمارية فتمكنت من تحقيق تأثير أكبر في سياسات الأحزاب الحاكمة والشؤون السياسية في بروكسل مما كانت عليه في عهد الحكم ليوبولد .⁶⁷

واستطاع الحزب الكاثوليكي (PSC) الذي أصبح يعرف بالحزب الاجتماعي المسيحي فيما بعد والممثل لمصالح البعثات الكاثوليكية اتخاذ دور المتحدث بإسم الإرساليات المسيحية في الساحة السياسية البلجيكية، وسعى بنشاط للسيطرة على الشؤون الإستعمارية وقد يعود ذلك للعوامل التالية :

- لم يبدي البلجيكيون اهتماما كبيرا في الشؤون الاستعمارية كما لم يكن ضم الكونغو شعبيا ،بالإضافة لازدهار والرفاهية التي عرفته بلجيكا آنذاك أدى بدوره إلى تقليل الراغبين

في الهجرة نحو الكونغو هذا الذي خلف شرخا في الروابط الواصلة بين السلطة الاستعمارية والعاصمة بروكسل.⁶⁸

- الصراعات الداخلية بين الفلمنكيين والوالون، وبين الرومانيين والمضادين لهم، أسهمت في تعزيز روح التوافق بين الأحزاب المتنافسة التي وجدت قضية مشتركة في الحفاظ على الوحدة الوطنية، هذا الذي أدى إلى التوصل لتسويات بين المواطنين البلجيكيين، ومن هنا سعى المواطنون لتجنب النقاشات المفتوحة للمشاكل الاستعمارية والتي كانت قد تزيد من هذه الانقسامات.⁶⁹

- استعداد الأحزاب الليبرالية والاشتراكية في بلجيكا للسماح للحزب الكاثوليكي بتولي قيادة الشؤون الاستعمارية في الكونغو مقابل تحقيق تنازلات معينة كقضية توزيع المناصب الوزارية والتعليم في المدارس العلمانية في العاصمة البلجيكية، هذا الترتيب سمح للحزب الكاثوليكي بالسيطرة على النظام الاستعماري وبالتالي دعم مصالح الإرساليات المسيحية⁷⁰.

- انشغال الأحزاب الاشتراكية والليبرالية البلجيكية بالإصلاح الاقتصادي والاجتماعي في البلد الأم بالرغم من كونهم معارضين للتدخل الكنسي في السياسة إلا أنهم كانوا قلقين أكثر على مشاكلهم الداخلية من تعزيز المدارس العلمانية بالإضافة إلى تكون الحزب من رجال أعمال ذوي استثمارات كبيرة في الكونغو لم تكن لديهم رغبة في تعكير المياه الاستعمارية.⁷¹

خاتمة: ومن أهم الاستنتاجات التي توصلت إليها في هذا البحث أذكرها فيما هو آتي:

- أصبحت الإرساليات التبشيرية التي دخلت إلى الكونغو كمدافعة عن حقوق الأفارقة المضطهدة من قبل تجارة الرقيق العربية خلال عقد من الزمن أكبر المدافعين عن نظام استغلال البشر الوحشي .

- تباين البعثات المسيحية بشكل كبير بين أهدافها ونتائجها التي تضرب مصالحها الخاصة سواء ذات الأهداف المعلنة أو الخفية منها، وفي علاقاتها مع الإمبراطوريات الأوروبية والأمريكية فنجد أن معظم المبشرين من مذاهب مختلفة في القرنين التاسع عشر والعشرين احتفظوا بآراء أحيانا كانت اثنومركزية وغالبا ما التمسيتها عنصرية صريحة.

- دفاع المبشرون الكاثوليك والأساقفة المتحمسون بكل إصرار عن النظام الاستعماري ضد هجمات السكان المحليين والمصلحين وكانت خطاباتهم الدينية الواعظة المنادية بحقوق الإنسانية ليست سوى سموم تهدف لزرع جذور السلطة الاستعمارية البلجيكية أكثر في المنطقة، ويبدو أن هذه الحادثة المؤلمة تعود لكون حقيقة أن الاهتمام الطائفي والولاء الوطني وكذا الإيمان المطلق بفوائد الثروات التي تزخر بها الكونغو انتج شرخا في معتقداتهم الخالصة وسمح للأساقفة لأجنداتهم ومصالحهم بأن تحجب عنهم الحقائق الأساسية للوقائع المؤلمة التي كانت تحرق بالكونغو.

وبهذا استطعنا ان نجد تداخلا فريدا بين الدين والسلطة السياسية والخط الرفيع الذي يجمعهما حيث شكلت البعثات التبشيرية والكنائس عنصر حاسما في هذا الجدل وبالرغم من أنها في دراستنا هذه كانت تمثل واجهة للسيطرة الاستعمارية القمعية من جهة إلا أنها مثلت أيضا منبع للتأثير الثقافي والفكري وُجهت وبطرق غير مباشرة نحو تنمية الوعي التحرري السياسي للسكان الأصليين وكانت مهدا للحركات الدينية بداية والسياسية لاحقا ، هذا الاتجاه الثنائي لتأثير الإرساليات التبشيرية يمكن أن يكون جسرا معرفيا نحو دراسة

جديدة تطرح كيفية تأثير الوعي الفكري والسياسي للكونغوليين بالبعثات التبشيرية وكيف أسهمت هذه العوامل في تشكيل مسار التحرر والنضال من أجل الحرية .

الهوامش:

- 1 - علي موسى ومحمد الهادي، جغرافية القارات، دار الفكر، دمشق، 1995، ص 431 .
- 2 - جمال الدين عمراوي، دور قبائل البانتو في تأسيس مملكتي المونوموتابا والكونغو في إفريقيا جنوب الصحراء، رسالة لنيل شهادة دكتوراه، تخصص تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة أبو قاسم سعد الله، الجزائر، 2018. 2019، ص 342 .
- 3 - ج، فانسينا، " مملكة الكونغو وجيرانها " ، ضمن كتاب: تاريخ إفريقيا العام "، المكتبة الكاثوليكية، اليونيسكو، ج 5، ط 2 سنة 1977، ص 616 .
- 4 - مرجع نفسه .
- 5 - العقاد عبد الغني، الوجيز في إقليمية القارة الإفريقية، دار المريح للنشر، ط2، الرياض، 1982، ص 211 .
- 6 - Reene Tantara, **East Africa the western Indian Ocean, Basin And World Economy 1760 To 1850**, college Entrance Examination Board, New York, 2012, P3.
- 7 - ج، فانسينا، مملكة الكونغو وجيرانها، مرجع سابق، ص 616 .
- 8 - ج، فانسينا، مرجع سابق، ص 717 .
- 9 - Mark Cartwright, **Kingdom of Congo**, Ancient History Encyclopedia, Unesco archives, Chicago, 2 march 2019, P3.
- 10 - Nana Gyesie, **The Role of Church missions in the systematic development of political life in the Belgian Congo from 1885 - 1960**; A Thesis Letter, Georgetown University (Washington DC), United States of America, 20 April 2010, Published, P 3 .
- 11 - Ibid, P 6 .
- 12 - Katzenellenbogen Simon, **Revue Canadienne Des Études Africaines**, Canadian Journal of African Studies vol. 39, no. 1, 2005, p. 163
- 13 - Nana Gyesie, Op Cite, P 6 .
- 14 - Catherine Ann Cline, **The Church and the Movement for Congo Reform**, Church History, Vol 32, No 1, Mar 1963, p 46 .
- 15 - حمد بن محمد بن جمعة بن رجب بن محمد بن سعيد المرججي والمعروف بـ 'نبيوتيب' وهو من أشهر التجار العمانيين في شرق إفريقيا خلال مطلع القرن العشرين تمكن من إقامة مدن عربية في الكونغو وساهم في نشر الإسلام الملكي

ناصر بن سليمان بن ناصر، أشهر الحوادث وأعظم الرجال حميد بن محمد المرجبي فاتح الكونغو، مجلة الهلال المصرية، الج10، 1 جوان 1906، ص 574.

¹⁶ - Catherine Ann Cline, Op Cite, P 47 .

¹⁷ - Idem .

- ¹⁸ هنري مورتن ستانلي (1841 – 1904) Sir Henry Morton Stanley، مستكشف صحفي ومستكشف بريطاني الأصل وأحد أبرز الرحالة الذين ساهموا في حملات الاستكشاف الجغرافي للقارة الإفريقية والنشاط الاستعماري الأوروبي، قدم خدمات جليلة إلى الحكومات الأوروبية البريطانية والبلجيكية وساهم بشكل فعال في تدعيم النفوذ البريطاني في أوغندا وقيادته حملة البحث عن المستكشف والمبشر البريطاني ديفيد ليفنجستون، وحملة أخرى متعلقة بإنقاذ الإداري الألماني الأصل أمين باشا، ومن أبرز محطات حياته رحلات استكشاف وسط إفريقيا والكونغو ودعمه الأطماع الاستعمارية للملك ليوبولد الثاني والتي رسمت ملامح التوسع البلجيكي في وسط إفريقيا وتوجت بإعلان دولة الكونغو الحرة 1885 م . للمزيد أنظر :

الساعدي صدام حصن علي، السير هنري مورتون ستانلي ودوره في إعلان دولة الكونغو الحرة 1876 . 1885، مجلة الآداب المستنصرية، كلية التربية . الجامعة المستنصرية، الع 165، 2003، م . ص . ص 1 - 3 .

¹⁹ - Adam Hochschild ; **King Leopold's Ghost : A Story of Greed, Terror and Heroism in Colonial Africa**, Boston, Ma: Houghton Mifflin, 1998, P 22.

²⁰ - Rountree Kathryn, **Catholic missionaries in Africa : The White Fathers in The Belgian Congo 1950 - 1955**, LSU Master's Theses, Louisiana State University and Agricultural and Mechanical College, United States Of America ,2009, Published, P7 .

²¹ - الجمل، شوقي عطا الله، تاريخ كشف إفريقيا واستعمارها، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1971م، ص 136.

²² - Prothero G.w, **Belgian Congo** , Retrieved From the Library of Congress Great Britain, Foreign Office , Historical Section, H.M Stationery Off, London, 1920, P 40 .

²³ - الجمعية المعمدانية البريطانية للبعثات الكنسية إلى الكونغو (BMS) : هي عبارة عن منظمة مسيحية بريطانية تأسست ما بين عامي 1877 - 1878 بهدف نشر الديانة المسيحية وتعليم مبادئها للسكان المحليين في الكونغو، سعت لإقامة محطات وأماكن للتبشير في مناطق مختلف من الكونغو وتمثل دورها في دعم وتعزيز نفوذ الملك ليوبولد الثاني، للمزيد أنظر : زاهر رياض، استعمار إفريقية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 1، 2019، ص ص 52 - 53.

²⁴ - Marvin D.Markowitz, **The Missions and Political Devlopment in the Congo** ,Africa, Journal Of International African Institute, Vol 40 .No 3 ,(Jul,1970), P 235 .

²⁵ - Prothero G.w, Op Cite, p 41 .

²⁶ - Nana Gyesie, Op Cite, P 22 .

²⁷ - Marvin D.Markowitz, Op Cite, P 236 .

²⁸ - Prothero G.w, Op Cite, p 42 .

²⁹ - Idem .

³⁰ - Robert Bollot, **Leopold 2 Et Le Congo**, ED, Bureau De Vente Des Publication Coloniales Officielle, Paris, 1904 ,P75 .

³¹ - Idem .

³² - Marvin D.Markowitz, Op Cite, P 237 .

- ³³المطاط الأحمر : يعتبر أحد أهم الموارد الطبيعية في الكونغو خلال فترة حكم الاستعمار البلجيكي وقد تم استغلال هذه المادة من خلال انتهاج سياسة وحشية تجبر السكان الأصليين على جمع المطاط الأحمر أو التعرض للإعدام والتعذيب إذا لم يتمكنوا من تلبية حصصهم ،وقد بدأت هذه السياسة عام 1885 عندما أسس الملك ليوبولد الثاني جمعية الكونغو الدولية ، أنظر : الجمل ،شوقي عطا الله ،مرجع سابق ،ص 351 .

³⁴ - Marvin D.Markowitz, Op Cite, P 237 .

³⁵ - Nana Gyesie, Op Cite, P 24.

³⁶ - Catherine Ann Cline, Op Cite, PP 47 – 48 .

³⁷ - كان ليوبولد يهدف لكسب الرأي العالم آنذاك بطريقة تتيح لهم فرصة إزاحة القوة العربية من الكونغو ،فشحذ مشاعر الأوروبيين ضد العرب، وفي ماي 1885 تلقت الجمعية الجغرافية في باريس معلومات متضاربة ساقتها إليها الصحافة البلجيكية تفيد أن العرب غزاة لأقاليم الكونغو العليا وأنهم عصابات تحدد المحطات البلجيكية كما لجأت الصحافة أيضا إلى الربط بين الوجود العربي في الكونغو والثورة المهدية في السودان فاعتبرت حمد المرجي من أتباعه وأبرزت صحف إنجلترا ثأرا لمقتل غوردون باشا في محاولة لكسب الشرعية الدولية والتعاطف ،فانتهر البلجيكي الفرصة وسعوا للقضاء على الوجود العربي في الكونغو حتى لا يؤسسوا امبراطورية إسلامية في قلب القارة الإفريقية ، للمزيد أنظر : مرقص رزق يواقيم ،العرب والكونغو في النصف الأخير من القرن التاسع عشر ،سيمنار للتاريخ (العرب في إفريقيا الجذور التاريخية والواقع المعاصر) ، كلية الآداب ،جامعة القاهرة ،دار الثقافة العربية ،القاهرة ، 1987 ،ص ص 225 . 231 .

³⁸ - Prothero G.w, Op Cite, p 45 .

³⁹ - Nana Gyesie, Op Cite , P 26 .

⁴⁰ - Ibid, P 32 .

⁴¹ - Catherine Ann Cline, Op Cite, P 48 .

⁴² - Idem.

⁴³ - Catherine Ann Cline, Op Cite, P 49 .

⁴⁴ - Prothero G.W, Op Cite ,p 43 .

⁴⁵ - Idem .

⁴⁶ - Marie Elizabeth Dunkerley, **Education Policy and Development Of the Colonial State in the Belgian Congo 1916 - 1939** ,A Thesis For The degree of Doctorate of Philosophy in History, University of Exeter, September 2009 .

⁴⁷ - Prothero G.W, Op Cite ,p 57 .

⁴⁸ - Adam Hochschild, Op Cite ,p 134 .

⁴⁹ - Nana Gyesie, Op Cite , P 34 .

⁵⁰ - Idem .

- ⁵¹ - Marvin D.Markowitz, Op Cite , P 237 .
- ⁵² - Nana Gyesie, Op Cite , PP 35 – 36 .
- ⁵³ - Nana Gyesie, Op Cite , PP 35.
- ⁵⁴ - محمد علي القوزي : تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر ،دار النهضة العربية ،لبنان ، 2006 ، ص 236 .
- ⁵⁵ - Nana Gyesie, Op Cite , P 27 .
- ⁵⁶ - محمد علي القوزي : مرجع سابق ، ص 237 .
- ⁵⁷ - Nana Gyesie, Op Cite , P 28 .
- ⁵⁸ - Idem .
- ⁵⁹ - Marvin D.Markowitz, Op Cite , P 242 .
- ⁶⁰ - Nana Gyesie, Op Cite , P 29 .
- ⁶¹ - Marvin D.Markowitz, Op Cite , P 237
- ⁶² - Ibid , P 238 .
- ⁶³ - Nana Gyesie, Op Cite , P 31 .
- ⁶⁴ - Kenny Gale And Wenger Tesa, **Church ,State and ‘ Native Liberty ‘ in the Belgian Congo** , Comparative Studies in Society and History , 62 (1) , 2020 , P 158
- ⁶⁵ - Marvin D.Markowitz, Op Cite , P 237 .
- ⁶⁶ - Catherine Ann Cline, Op Cite ,PP 50 – 51 .
- ⁶⁷ - Marvin D.Markowitz , Op Cite , P 238 .
- ⁶⁸ - Vellut Jean-luc, **Histoire Du Congo : de la colonisation à l’indépendance** ,Paris ,Fayard , 1981 ,Pp 78 – 79 .
- ⁶⁹ - Ibid , Pp 80 – 81 .
- ⁷⁰ - Marvin D.Markowitz, Op Cite , P 238 .
- ⁷¹ - Idem .